مجلة جامعة الملك سعود، م٦، العلوم الإدارية (١)، ص ص ١١٩-١٣٦ (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).

نموذج التخطيط الإسلامي من حياة الرسول ﷺ : الفكر والتطبيق

حزام ماطر المطيري

أستاذ مساعد، قسم الإدارة العامة، كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قُدم للنشر في ١٤١٣/٥/١٠هـ، وقُبل للنشر في ١٤١٣/٨/٢٣هـ)

ملخص البحث. إن الإدارة الإسلامية إدارة إلٰهية تستمد منهجها من وحي السماء ولذلك فهي تتسم بالشمولية وملاءمة الفطرة الإنسانية على اختلاف الأزمنة والأمكنة. وقد هدف هذا المقال إلى استعراض أحد الجوانب الإدارية المهمة وهو التخطيط وفق بعض أقوال وأفعال الرسول ﷺ، وذلك من أجل تحقيق الأغراض التالية:

ا) استثارة همم المسلمين للعودة لهذا الأصل العظيم.

ب) نشر الوعي الإسلامي في الجانب الإداري.

جـ) بيان أهمية الجانب العقائدي للإدارة ليحل محل المنهج العلماني الغربي.

مقدمة

إن الإدارة الإسلامية إدارة إلٰهية تستمد منهجها من وحي السماء، ولذلك فهي تتسم بالشمولية وملاءمة الفطرة الإنسانية على اختلاف الأزمنة والأمكنة. ولقد كانت حياة الرسول ﷺ، نموذجًا حيًّا لتلك الإدارة فكرًا وممارسةً وقولاً وعملاً. وإننا كمسلمين أُمرنا بالاقتداء والتأسي بالرسول ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾. [الأحزاب: ٢١]. وقال تعالى أيضا: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾. [الحشر: ٧].

وفي هذا الوقت بالذات نجدنا كمسلمين أحوج ما نكون للاقتداء بالرسول ﷺ، كمشرع وقائد وموجه ومربي حتى تعود للأمة الإسلامية هيبتها وعزتها وإدارتها المستقلة المتميزة. إن سقوط الشيوعية فكرًا وتطبيقًا منهجًا وسلوكًا جعل الساحة خالية إلا من طرف واحد تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تتفق في الهدف مع الفكر المنهار فهي تسعى جاهدة إلى الهيمنة والسيطرة ومن ثم القضاء على القيم والأديان الأخرى، وخصوصًا الإسلام، إلا أنها تسلك أسلوبًا غير مباشر ينطلي على كثير من أبناء المسلمين بما تدعو إليه من علمانية ونظام رأسمالي يعرف بالوفاق الدولي الجديد.[1]

الهدف من المقال

يهدف هذا المقال إلى استعراض أحد الجوانب الإدارية المهمة وهو التخطيط وفق بعض أقوال وأفعال الرسول ﷺ، من أجل تحقيق الأغراض التالية:

١ ـ استثارة همم المسلمين بضرورة العودة لهذا الأصل العظيم في الإدارة الإسلامية وبيان أن عطاءه متجدد.

٢ ـ نشر الوعي الإسلامي عن ذلك الجانب من الإدارة ومحاولة الاستفادة منه على جميع المستويات.

٣ ـ تقديم بديل أخلاقي للإدارة ليحل محل المنهج العلماني الغربي، وذلك عن طريق بيان أهمية الجانب العقائدي في الإدارة الإسلامية ممثلاً بأقوال الرسول ﷺ، وأفعاله.

منهجية المقال وحدوده

لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه فإن منهجية المقال سترتكز على استعراض بعض أحاديث الرسول ﷺ، ذات الصلة بالموضوع في نظر الباحث، وكذلك بعض الأحداث والممارسات التي تمت في سيرته والتي توضح تلك الأقوال، ومن ثم تحليلها والتعليق عليها، واستنباط بعض المفاهيم المفيدة للمجتمعات المسلمة في الوقت الحاضر، فهي دراسة نظرية مكتبية تقوم على التحليل التاريخي لمحتوى بعض النصوص والممارسات في السيرة النبوية، ولكن من منظور إداري إسلامي.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن العلمانية وظهورها ومجالات انتشارها بما في ذلك الإدارة، انظر [١، ص ص ٤ - ١٤].

أولاً: التخطيط الإسلامي في أقوال الرسول ﷺ

إن من أقوال الرسول ﷺ، في ذلك: «لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». [٢؛ ص٣٢] حيث يتضح من هذا الحديث ضرورة التفكير وأن يأخذ المؤمن مبدأ الحيطة والحذر من أي جهة حصل منها ضرر أو خطر عليه في الماضي أو الحاضر وهذا عنصر مهم في التخطيط عمومًا ولكنه يتوجب في التخطيط الإسلامي. فالطالب المؤمن مثلاً إذا قصر في واجباته ومذاكرته ثم رسب فإنه وفق ذلك التوجيه النبوي لن يهمل مرة أخرى لأنه يعلم أن هذا الفشل هو نتيجة لذلك الإهمال. وكذلك الموظف إذا أخلّ بعمله ثم ترتب على ذلك خصم من راتبه أو حرمانه من علاوة أو ترقية مثلاً فإنه لن يعود إلى مثل ذلك التقصير أو الإخلال مرة أخرى.

وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» [٣، ص٣٢].

ويحتوي هذا الحديث أيضًا على عناصر أخرى للتخطيط الإسلامي ومنها الجانب الإيماني وضرورة التخطيط لتقويته حيث إن هذا التوجيه النبوي فيه حث للمؤمنين على الأخذ بأسباب القوة فهو يمتدح المؤمن القوي سواء أكانت تلك القوة جسدية أم فكرية أم عقيدية لأن في قوته قوة للمؤمنين. كما أن فيه إشارة إلى عنصر الخيرية في المؤمن مهما كان ضعيفًا فينبغي على الإدارة الإسلامية التخطيط لتنمية العنصر الإيماني. وقد يتم ذلك من قِبل الفرد ذاته (تنمية ذاتية). وقد يتم من قِبل البيئة المحيطة به سواء كانت الإدارة الأسرية أو إدارة المنظمة أو الإدارة العامة في الدولة عن طريق مؤسساتها المختلفة.

وفي الحديث أيضًا حثّ على بذل الأسباب وتوفير الإمكانات للوصول إلى الغايات والأهداف المشروعة، وهذه عناصر مهمة في التخطيط إذ أن أهميتها تكون أكبر في التخطيط الإسلامي، لأن المؤمن لا يسعى فقط للمصلحة المادية الدنيوية البحتة كما يفعل غيره بل يسعى للمنفعة الأخروية أيضًا.

فالطالب المؤمن مثلاً يجد ويجتهد ويسلك السبيل السوي لينال ثمرة اجتهاده في هذه الحياة بالنجاح ثم العمل لخدمة الإسلام والمسلمين. أي أنه يستغل ذلك الهدف المرحلي

لهدف أسمى وهو رضاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ والفوز بالجنة. بينما غير المؤمن قد يسلك الطرق الملتوية كالغش مثلاً للحصول على تقدير مرتفع أو شهادة وذلك للوصول إلى مركز معين. ثم بعد ذلك يستغل المنصب للحصول على الثراء الفاحش عن طريق الرشوة أو استغلال السلطة والنفوذ لتحقيق مصالح شخصية دون أي تفكير بالمصير الأخروي.

إضافة إلى ما سبق فإن المؤمن وفق ذلك الحديث وسواء كان طالبًا أو موظفًا أو غير ذلك ينبغي عليه أن يستعين بالله ويتوكل عليه، وهذا عنصر مهم في التخطيط الإسلامي إلا أنه مفقود في الإدارات الوضعية العلمانية. هذه الاستعانة والتوكل تولد في نفس المؤمن طاقة هائلة من الجد والمثابرة والعمل الدءوب مع اليقين الكامل والثقة بمعية الله سبحانه وتعالى ـ وحتى لو كانت النتائج عكسية في بعض الأحيان فإن المؤمن يصبر ويحتسب الأجر عند الله على خلاف غير المؤمن تمامًا والذي قد يصاب بالإحباط والتذمر أو السخط وقد يستغل الشيطان نقطة الضعف تلك فيقوده للاستسلام واليأس وربما للانتحار.

وبالرغم من أن هذا الموضوع أخذت تعالجه الإدارات المعاصرة تحت ما يسمى بـ«إدارة الضغط»، إلا أنها لا تعدو أن تكون معالجة سطحية تتناول وسائل الترفيه المادية والنفسية، وذلك للتخفيف من آثار تلك الضغوط، فهي تغفل الجوانب الإيمانية والعقائدية مما يجعل تأثيرها ضعيفًا ومحدودًا بخلاف المنهج الإسلامي [٣]. وفي الجزء التالي من المقال سنتناول التخطيط الإسلامي من خلال استعراض بعض أفعال الرسول ﷺ، التي هي تطبيق عملي وترجمة فعلية لأقواله ﷺ، والتي سبق الإشارة إلى بعضها أعلاه.

ثانيًا: التخطيط الإسلامي في أفعال الرسول ﷺ

١ ـ الفترة المكية

ويمكن القول بأنها احتوت على نوعين من التخطيط في المفهوم المعاصر: تخطيط بعيد المدى أو استراتيجي، وتخطيط قصير المدى أو تنفيذي [٤، ص١١١؛ ٥، ص٨٠].

وسنركز في هذه الفترة على حدثين مهمين هما: التخطيط للدعوة، والتخطيط للهجرة، وكلاهما مرتبط بالآخر إلا أن الفصل بينهما تم لمزيد من الإيضاح.

ا) **التخطيط للدعوة**. وهو الحدث التخطيطي الأول ويعتبر الأساسي في التخطيط الإسلامي بشكل عام، حيث اتبع الرسول ﷺ، في سبيل تبليغ رسالة الإسلام وعقيدة

التوحيد (كهدف استراتيجي عام) خططًا عملية تنفيذية محكمة على مدى ثلاثة عشر عامًا تضمنت مرحلتين رئيستين هما:

* *مرحلة الدعوة سرًّا*. وقد استغرقت ثلاث سنوات [٦، ص٢٣٧]. وهذه المرحلة تعتبر بالنسبة للمرحلة الجهرية خطة مؤقتة قصيرة المدى حيث اتبع فيها الرسول ﷺ، سياسة حكيمة تجلت في حسن الانتقاء والاختيار فيمن يدعوهم من مختلف الفئات والمستويات. فقد دعا للإسلام من الرجال أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ذلك الرجل الوقور الحليم التاجر ذو المكانة الرفيعة في قومه. وقد أثمر هذا الاختيار الموفق من تمكن أبي بكر من دعوة خمسة من السابقين في الإسلام ممن بشرهم الرسول ﷺ، بالجنة، وهم: عثمان والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد وطلحة بن عبيدالله [٦، ص٢٣٢]. كما دعا للإسلام من النساء زوجته خديجة رضي الله عنها، حيث كانت نعم النصير والمعين له في دعوته ودل هذا على اهتمام الرسول ﷺ، بالتخطيط الأسري ممثلًا في المرأة الصالحة لما لها من دور فعّال في بناء الأسرة المؤمنة وتقوية الجبهة الداخلية في المجتمع المسلم [٦، ص٢٢٤] أما من الصبيان فقد دعا إلى الإسلام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، للدلالة على أهمية التخطيط والعناية بالشباب وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة فهم عدة المستقبل للأمة الإسلامية [٦، ص٢٢٨]. كما دعا للإسلام من الموالي زيد بن حارثة للدلالة على أن الدعوة الإسلامية لا تعرف العنصرية أو الطبقية والتحيز لفئة دون فئة بل ينبغي للتخطيط فيها أن يشمل جميع أفراد المجتمع المسلم وأن أساس التمايز بينهم هو التقوى فقط [٦، ص٢٣١].

لقد اختار الرسول ﷺ، دار الأرقم لتكون مقرًّا للاجتماعات السرية من قِبل المسلمين الأوائل حتى جاءه الأمر من الله تعالى له بالجهر بالدعوة والصدع بها. وبناء على ما سبق فإنه يمكن القول بأن أهم خصائص التخطيط الإسلامي في هذه المرحلة تضمن التالي [٤، ص ص١١٦-١١٨؛ ٥؛ ص ص٨٢-٨٣ و٧، ص٧٦]:

١ ـ عرض الدعوة بشكل فردي انتقائي على من يثق بهم وذلك تحاشيًا للمعارضة الجماعية من قريش.

٢ ـ حماية الداخلين الجدد في الإسلام من الأذى والاضطهاد.

٣ ـ تعليم الرعيل الأول القرآن الكريم وتقوية الإيمان في قلوبهم لتحمل مخاطر المرحلة القادمة.

٤ ـ اختيار دار الأرقم للاجتماعات السرية يعتبر اختيارًا للمكان المناسب وفيه إرشاد وتوجيه للمخططين المسلمين في كيفية الأخذ بالأسباب الظاهرة في حيطة تامة مع التوكل على الله لتحقيق أهداف الدعوة. وذلك لأن الأرقم شاب صغير السن لم تعلم قريش بإسلامه كما أنه من بني مخزوم وهي فئة مناوئة لبني هاشم أهل صاحب الدعوة فيستبعد أن تكون الاجتماعات في بيته.

٥ ـ مرونة التخطيط الإسلامي في فعل الرسول ﷺ، خلال هذه الفترة كانت واضحة تجلّت في كيفية اختيار الأسلوب المناسب في الوقت والمكان المناسبين.

* *مرحلة الجهر بالدعوة والصبر على الأذى*. وهي المرحلة الرئيسة الثانية من مراحل التخطيط للدعوة الإسلامية وقد استغرقت عشر سنوات، فهي بمثابة خطة عشرية طويلة المدى، حيث بدأ الرسول ﷺ، بتنفيذ هذه المرحلة بشكل تدريجي حسب توجيهات الله سبحانه وتعالى له عن طريق الوحي وذلك بإنذار عشيرته الأقربين من بني عبد المطلب وعبد مناف أولاً ثم الصعود على الصفا بعد ذلك وإبلاغ قريش وأهل مكة جميعًا بتلك الدعوة. ولقد بادر أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بتنفيذ ذلك أيضًا، فلاقى كل منهما الاضطهاد والأذى من كفار قريش. إلا أنه بعد دخول عمر، رضي الله عنه، في الإسلام تشجع المسلمون الأوائل من بقية الصحابة في الجهر بالدعوة للإسلام وإقامة شعائر حول الكعبة. وقد بذل الرسول ﷺ، في هذه المرحلة كل الوسائل الممكنة لإقناع قريش بقبول دعوته فلما لم يلق استجابة منهم بل اشتد أذاهم له بالسخرية والاستهزاء تارة وبالإغراء تارة أخرى قال قولته المشهورة الدالة على عزمه وتصميمه للوصول إلى الهدف الذي اختطه لنفسه منذ بدء نبوته وهو إبلاغ الرسالة الإسلامية والاستمرار في الدعوة إلى الله حيث قال:

«يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته».(٢)

وتطبيقًا للحديث الأول فإن الرسول ﷺ، بعد أن لاقى كل صنوف العنت والإيذاء والإعراض من أهل مكة ذهب إلى أهل الطائف يعرض عليهم الإسلام إلا أنهم لم يكونوا

(٢) للتأكد من هذا النص انظر [٦، ص ٢٤٠] بعض المحدثين يرى أن في سنده ضعف إلا أنني أرى أن معناه صحيح للدلالة على ثبات الرسول ﷺ على الحق، مهما كلفه ذلك فهو أفضل أولو العزم من الرسل.

أفضل من سابقيهم بل ربما آذوه أكثر حيث سلطوا عليه غلمانهم وسفهائهم. ومع هذا كله فقد دعى لهم ولم يدع عليهم ولم يثنه فعلهم ذلك عن المضي قدمًا والاستمرار في الدعوة في المواسم المختلفة لعله يجد قومًا آخرين وأرضًا أخرى تكون أكثر ملاءمة لدعوته. كما لاقى صحابة الرسول ﷺ، وأتباعه خصوصًا المستضعفين [٦، ص ص٢٧٧-٢٧٩] منهم كآل ياسر، وبلال وأمه وعامر بن فهيرة وزنيرة الرومية وأبي فكيهة والنهدية وابنتها أيضًا صنوفًا مختلفة من العذاب والإيذاء من قِبل كفار قريش، فكان الرسول ﷺ، وهو القائد والمخطط لهذه الفئة المؤمنة المضطهدة يمر عليهم ويشجعهم ويحثهم على الصبر ويعدهم بتحقق الهدف العاجل المرحلي (النصر والتمكين في الأرض) والهدف الآجل (الشهادة في سبيل الله ثم الفوز بالجنة). فكان كما قال حيث تحقق لهم في الفترة المكية بعض ما قال ﷺ، حيث افتداهم أبو بكر رضي الله عنه، وأعتقهم من رق العبودية لغير الله، كما تحقق البعض الآخر في الفترة المدنية كما سيتضح لاحقًا في هذا المقال. وعلى ضوء ما سبق يمكن القول إن أهم خصائص هذه المرحلة من التخطيط يمكن تلخيصه بالتالي [٤، ص ص١٢٠-١٢١، ١٢٨-١٢٩]:

١ ـ إقامة الحجة على أهل مكة بدعوتهم جميعًا وتقدير مدى صلاحية هذا المجتمع لاستمرار الدعوة فيه.

٢ ـ إتاحة الفرصة لدخول آخرين من غير أهالي مكة في الإسلام مما يقوي شوكة المسلمين ويدل على عالمية هذا الدين.

٣ ـ تدرج المسؤولية في التخطيط للدعوة حيث تبدأ بمسؤولية المسلم عن نفسه ثم مسؤوليته عن أهله وأقربائه ثم مسؤوليته عن مجتمعه سواء كان ذلك الفرد المسلم من الدعاة أو من العلماء أو من الحكام أو غيرهم.

٤ ـ تمحيص إيمان المسلمين الأوائل والتأكد من صدقهم مع الله فهم النواة الأولى للأمة الإسلامية فيما بعد.

٥ ـ تعويدهم على الصبر والجهاد وإرشادًا لمن جاء بعدهم بأهمية ذلك مع ضرورة الأخذ بالأسباب من أجل بلوغ الغايات والأهداف العاجلة والآجلة.

٦ ـ إعلام أعداء الإسلام بقيمة العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين وأن الإيذاء أو التعذيب لا يزيدهم إلا ثباتًا وتضحية في سبيل تحقيق أهدافها الشرعية.

ب) **التخطيط للهجرة**. وهو الحدث التخطيطي الثاني وهو جزء مهم في التخطيط الإسلامي وقد تضمن أيضًا النوعين المذكورين أعلاه من أنواع التخطيط. لقد كانت هجرتي الحبشة بمثابة تخطيط قصير المدى (تكتيكي)، بينما التخطيط للهجرة النبوية إلى المدينة المنورة يعتبر تخطيطًا استراتيجيًا طويل المدى.

* *الهجرة للحبشة*. لما اشتد أذى المشركين في مكة للمسلمين الأوائل أذن لهم الرسول ﷺ، بالهجرة إلى الحبشة بقوله: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه» [٦، ص٢٨٠]، فكان جميع من خرج إلى الحبشة من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلاً إضافة إلى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارًا والذين ولدوا بها [٦، ص٢٨٦]. وقد استقر المسلمون المهاجرون بأرض الحبشة واطمأنوا بها وأمنوا على دينهم وعبدوا الله تعالى في جوار النجاشي ملك الحبشة الذي أسلم، وبعد أن هاجر الرسول ﷺ، إلى المدينة جهز النجاشي سفينتين حملت المسلمين ومن أسلم من أهل الحبشة في رحلة العودة إلى المدينة [٤، ص١٣٠].

مما سبق عرضه عن الهجرة للحبشة يتضح ما يلي:

١ ـ أن هذه الهجرة كانت ضربًا من الجهاد والدعوة إلى الله حيث وصل الإسلام لأرض الحبشة وأسلم ملكها وكثير من أهلها.

٢ ـ كان لها تأثير نفسي إيجابي على بعض الأفراد من قريش نحو الإسلام حينما رأوا أولئك النفر رجالاً ونساءً يضحون بأهلهم وأموالهم وأرضهم في سبيل الله.

٣ ـ أنها كانت خطة مرحلية مؤقتة لهجرة أكبر ودائمة فيما بعد إلى المدينة المنورة لإقامة الدولة الإسلامية فيها.

٤ ـ أنها كانت دليلاً قاطعًا على دقة تخطيط الرسول ﷺ، وبُعد نظره للحفاظ على المسلمين الأوائل ومستقبل الإسلام.

٥ ـ أنها بيّنت مهارة الرسول ﷺ، ومعرفته بالبيئة السياسية المحيطة وأهمية ذلك العنصر في التخطيط الإسلامي.

* *الهجرة النبوية*. وتضمنت بيعتي العقبة كمرحلة تمهيدية وتخطيط قصير الأجل تلاها التنفيذ الفعلي لهجرة الرسول ﷺ، إلى المدينة المنورة كهدف استراتيجي لتخطيط طويل الأجل لإقامة الدولة الإسلامية.

* *بيعة العقبة الأولى*. بعد أن رفض كل من أهل مكة من قريش وأهل الطائف من ثقيف دعوة الرسول ﷺ، إلى الإسلام أخذ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج عاقدًا العزم على الاستمرار في دعوته. وفي أحد المواسم التقى الرسول ﷺ، بوفد من يثرب ودعاهم إلى الإسلام فقبلوا دعوته وأسلموا وبايعوه على الإيمان والالتزام بشرائع الإسلام فأرسل معهم مصعب بن عمير لتعليمهم القرآن الكريم وتفقيههم في الدين وليجمع له الأخبار والمعلومات عن الناس والأرض ومدى صلاحيتها للدعوة الإسلامية [٨، ص ص٥٤ـ٥٨].

* *بيعة العقبة الثانية*. وفي موسم الحج من العام التالي تجلى التخطيط السياسي والأمني بشكل واضح عندما التقى الرسول ﷺ، بوفد آخر من الأوس والخزرج وذلك في مِنى ليلاً (في أحد شعاب مكة) وكان في معية الرسول ﷺ، أبو بكر وعلي والعباس بن عبدالمطلب حيث وقف كل من أبي بكر وعلي بن أبي طالب حراسًا على مداخل الشعب بينما تفاوض الرسول ﷺ، مع الوفد اليثربي وأخذ له عمه العباس المواثيق على حمايته ونصرته إذا هاجر إليهم وعلى الحرب معه إن اقتضى الأمر ذلك فوافقوا وطلب منهم الرسول ﷺ، إثنى عشر نقيبًا أي ضامنين لإسلام قومهم ومناصرتهم. ثم انقضى الاجتماع وعاد كل طرف إلى حاله بسرية تامة [٨، ص ص٦١ـ٦٨]. يتضح مما سبق عرضه عن البيعتين ما يلي:

١ ـ الصبر الذي أبداه الرسول ﷺ، وتحمله لمشقة الدعوة وبذل الأسباب الممكنة في عرض دعوته على القبائل جميعًا حتى هيأ الله له وفدًا من يثرب وتمت بيعة العقبة الأولى.

٢ ـ التمهيد للهجرة النبوية للمدينة والتهيئة لها بإرسال مصعب بن عمير لتعليم أهلها الإسلام والتوحيد ولتعميق الإيمان في نفوسهم حيث دخل في الإسلام كثير من الأنصار في خلال سنة واحدة.

٣ ـ التخطيط للقاء آخر موسع مع وفد أكبر من يثرب حيث تمت بيعة العقبة الثانية بسرية بالغة اتضح فيها التخطيط السياسي والأمني من جانب وقوة التفاوض عند الرسول ﷺ، من جانب آخر.

٤ ـ العمل على تكوين أول مجلس شورى إسلامي رسمي من خلال اتفاقية الرسول ﷺ، مع نقباء الأنصار والتي مهّدت السبيل للهجرة النبوية ومن ثم إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

* *هجرة الرسول ﷺ، للمدينة المنورة*. على إثر بيعة العقبة الثانية أذن الرسول ﷺ، للمسلمين بالهجرة إلى المدينة بقوله: «إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانًا ودارًا تأمنون بها. . .» [٨، ص٢٨٠] ولم يبق بمكة إلا هو ﷺ، وأبي بكر وعلي وبعض المستضعفين ممن لا يستطيع الهجرة. ولما علمت قريش بذلك خططت لمقتل الرسول ﷺ، ولكن الله أوحى إليه بذلك وأمره بالهجرة فوضع خطة محكمة متكاملة احتوت على جميع عناصر التخطيط الإسلامي وتجلت فيما يلي:

١ ـ السرية البالغة حيث كتم الرسول ﷺ، أمر الهجرة عن أصحابه إلا أبي بكر وعلي فقد أخبرهما قبل تنفيذ الخطة مباشرة.

٢ ـ بذل الأسباب المادية والمعنوية اللازمة لتنفيذ خطة الهجرة على أسس علمية دقيقة عن طريق:

ا) إعداد راحلتين وتقسيم الأعمال بين المساهمين في التنفيذ، وذلك بتكليف أسماء بإحضار الطعام لهم في الغار، وتكليف عبدالله بن أبي بكر بجمع المعلومات عما يخطط المشركون نحوهم وإبلاغهم به، وتكليف عامر بن فهيرة مولى أبي بكر برعي الأغنام حول مدخل الغار لمحو آثار من يمدهم بالغذاء والمعلومات.

ب) الاختباء في غار ثور ثلاث ليالٍ حتى ينقطع الطلب عنهم ويأتيهم دليل الطريق المستأجر.

جـ) سير القافلة جنوبًا باتجاه اليمن على خلاف الطريق المعتاد للمدينة وذلك زيادة في تضليل من يقتفي أثرهم من المشركين.

د) الارتباط بالله عزّ وجلّ والتوكل عليه وذلك بتنفيذ أمر الوحي بالهجرة من ناحية وطمأنة الرسول ﷺ، لصاحبه في الغار عندما تخوف من رؤية المشركين لهم بقوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [٤، ص ص١٤٣، ١٤٤؛ ٧، ص٨٣].

٢ ـ الفترة المدنية

توافرت مع بداية هذه الفترة للدولة الإسلامية كل مقومات الدولة بمفهومها المعاصر ومن ذلك الأرض أو الإقليم وتمثلت في المدينة المنورة، والسكان أو الشعب وتمثل في المهاجرين والأنصار والطوائف الأخرى كاليهود، والتنظيم السياسي والإداري وتمثل في

التشريع الإسلامي من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والسلطة أو الرئاسة وتمثلت في شخص الرسول ﷺ، كقائد أعلى للدولة الإسلامية [٩، ص١٤٧].

ولقد استطاع الرسول ﷺ، بعد وصوله إلى المدينة أن يخطط لهذا المجتمع الجديد على الرغم مما وجد فيه من تنافر شاسع بين عشائره وتباين بين دياناته ومِلله، على نحو فريد يجمع بين المهاجرين والأنصار من جهة ويحدد العلاقة بينهم كمسلمين مع غيرهم من جهة أخرى بشكل يحفظ للمسلمين عقيدتهم وكيانهم كما يضمن للآخرين حقوقهم في ظل سيادة الشرعية الإسلامية.

لقد ظهر التخطيط الإسلامي الشامل للدولة الإسلامية الفتية آنذاك بجوانبه المتعددة من خلال التخطيط العمراني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري، وفي الجزء التالي من المقال سنقتصر على إيراد ثلاثة أمثلة توضيحية للتخطيط النبوي في تلك الفترة.

ا) *التخطيط العمراني*. وقد اتضح ذلك من خلال:

* *البناء الحسي للمساجد والدور والمساكن* عن طريق [٧، ص٨٣؛ ٤، ص ص١٤٥ - ١٤٦]:

١ - بناء مسجد قباء عند بني عمرو بن عوف كأول مسجد أسس على التقوى، وقد ساهم الرسول ﷺ، في بنائه مع أصحابه وصلى فيه ثم مكث بضعة عشر يومًا عند ذلك الحي من الأنصار.

٢ - بناء مسجد الرسول ﷺ، في المكان الذي بركت فيه ناقته القصواء بعدما اشترى أرضه من الغلامين اليتيمين اللذين يملكانه، واشترك هو وصحابته أيضًا في بنائه حتى اكتمل.

٣ - بناء بيوت أزواج الرسول ﷺ، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، حول المسجد النبوي، كما اختص أهل الصُّفّة من فقراء المهاجرين من الصحابة ببناء خاص خطط له بناحية من المسجد.

٤ - بناء دور ومنازل المهاجرين من الصحابة من أهل مكة.

٥ - بناء منازل القبائل المهاجرة إلى المدينة كقبيلة قيس وتميم وقضاعة وبني بكر وبني المصطلق.

* *البناء المعنوي لعمار المساجد والدور والمساكن*. وذلك من خلال [٤، ص ص ١٤٦ - ١٤٧؛ ١٠، ص٦١].

١ - جعل الرسول ﷺ، المسجد ملتقى للمسلمين يؤدون فيه الصلوات المفروضة ويتعلمون فيه القرآن والسنة.

٢ - اتخاذ الرسول ﷺ، المسجد دارًا للشورى ومقرًّا لاستقبال الرسل ووفود القبائل.

٣ - جعل الرسول ﷺ، المسجد محكمة للقضاء والفصل بين المتخاصمين والمتنازعين.

٤ - اتخاذ الرسول ﷺ، المسجد مقرًّا لقيادة الجيش الإسلامي تخرج منه الغزوات والسرايا.

من الاستعراض السابق اتضح الجانب العقائدي وأهميته الكبيرة في ذلك التخطيط النبوي بشقيه العمراني والبشري.

ب) *التخطيط السياسي والإداري*. وقد تجلى ذلك واضحًا في وثيقة أو صحيفة المدينة والتي أطلق عليها البعض دستور المدينة وما تضمنته من أمور سياسية وإدارية واجتماعية اتضحت من البنود التي جاءت فيها. ومما جاء في هذه الوثيقة نورد ما يلي بتصرف على سبيل المثال [٤، ص١٥٣؛ ١٠، ص٦٢]:

١ - إن المسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.

٢ - إن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة (أي عطية) ظلمًا، أو إثمًا أو عدوانًا أو فسادًا بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعًا ولو كان أحد أبنائهم.

٣ - إن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

٤ - وأنه من تبع المسلمين من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

٥ - وأنه في حالة الاختلاف في أي أمر فإن مرده إلى الله - عزّ وجلّ - وإلى محمد رسول الله ﷺ.

ولقد استعرض بعض الكتاب المسلمين المعاصرين هذه الوثيقة في إحدى وخمسين بنـدًا. فبينـوا أن البنـدين (١و٢) من الوثيقة تضمنا التعريف بالشخصية المستقلة للأمة الإسلامية والتي تميزها عن غيرها من الأمم. كما ذكر أن البنود (٣ـ١١) تضمنت الحكم الذاتي ونوع الحرية السياسية للفئات المختلفة في إطار الدولة الشاملة.

أما البنود (١٢ـ٢٨) فقد حددت العلاقات الاجتماعية بين الطوائف المختلفة في حين أن البندين (٢٥، ٤٥) وضحا مصادر التشريع والحكم والقضاء في الدولة الإسلامية، وأن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ.

أما بقية البنود فمنها ما يتعلق بالإبقاء على الأعراف السابقة الخاصة بالديات وافتداء الأسرى والقصاص وعلاقة الأمة العسكرية بالأمم الأخرى المجاورة [٥، ص ص٦٨ـ٦٩].

وباستعراض جميع البنود التي وردت في تلك الصحيفة والتمعن فيها يتبين أنها تمثل نظامًا سياسيًّا وإداريًّا متكاملاً لحكم الدولة الإسلامية الناشئة في تلك الفترة. كما يظهر عدل الإسلام وسماحته وعلاقة الحاكم بالمحكوم، وتعتبر دليلاً ناصعًا على كفاءة الرسول ﷺ، وحنكته السياسية والإدارية كأعلى سلطة في الدولة الإسلامية وذلك بنجاح تخطيطه في جعل أهل المدينة وحدة واحدة عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وجعل العقيدة هي الرابط الأساسي بينهم. كما أنه حيّد موقف اليهود مؤقتًا بعد أن كانوا مصدر قلاقل وفتنة وزعزعة لأمن أهالي تلك البلدة من الأنصار.

جـ) *التخطيط العسكري*. بعد أن استقر الوضع في المدينة على إثر التخطيط العمراني والسكاني وكذلك التخطيط الإداري والسياسي الذي تم الإشارة إليهما أعلاه وما نجم عن ذلك من تكوين مجتمع إسلامي متآلف يسوده الإيثار والتضحية.[٣] أخذ الرسول ﷺ، بعد ذلك يخطط عسكريًّا لذلك المجتمع من أجل تحقيق الأهداف المشروعة التالية:

---

(٣) حيث يُروى أن هدية أهديت لعبادة بن الصامت فقال: اذهبوا بها إلى آل فلان فإنهم أحوج إليها منا. فأخذت تلك الهدية تتنقل بين بيوت المسلمين حتى عادت إلى عبادة قبيل الفجر [١٠، ص٢٧]، كما أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا فقال: ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يارسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه

١ ـ إبراز قوة المسلمين أمام اليهود وغيرهم من المشركين.

٢ ـ تهديد تجارة قريش التي صادرت أموال المهاجرين واستولت عليها ظلمًا وعدوانًا وذلك لإيجاد مصدر مالي يسهم في تنمية اقتصاد الدولة الإسلامية الوليدة.

٣ ـ عقد التحالفات أو الموادعة مع القبائل لضمان حيادها أو تعاونها عند المواجهة الكبرى مع قريش.

وفي سبيل ذلك فقد أنفذ الرسول ﷺ، عدة سرايا منها على سبيل المثال سرية عبدالله بن جحش وحمزة وعبيدة بن الحارث، كما قام بقيادة غزوة الأبواء بنفسه بعد عام واحد من وصوله إلى المدينة المنورة، فكان ذلك التخطيط كله تمهيدًا واستعدادًا للغزوات الكبرى كبدر وأحد ثم الخندق وغيرها فيما بعد [٧، ص ص٨٤ـ٨٦].

وفي هذا السياق سنقتصر على ذكر جوانب التخطيط الإسلامي في غزوة بدر الكبرى كنموذج واحد للتخطيط العسكري ـ نظرًا لمحدودية المقال ـ وتتجلى تلك الجوانب في التالي:

١ ـ الشورى الإيمانية حيث ظهرت واضحة جلية في مشاورة الرسول ﷺ، لأصحابه من المهاجرين والأنصار حول لقاء المشركين، حيث قال سعد بن معاذ: «فامضِ يارسول الله لما أردت فنحن معك فو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد» [٨، ص٨٨]. وظهرت المشورة واضحة أيضًا في اختيار الموقع المناسب لنزول الجيش الإسلامي، حيث أخذ الرسول ﷺ، برأي الحباب بن المنذر [٨، ص١٩٢].

٢ ـ التحري والدقة في جمع البيانات والمعلومات اللازمة، حيث استطلع الرسول ﷺ، قبل بداية المعركة خبر الأعداء وعددهم وعدتهم، فلما تبين أنهم ينحرون ما بين عشرة وتسعة من الإبل في كل يوم والذي يليه قدَّر عددهم فيما بين التسعمائة والألف [٨، ص١٨٩].

شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل الأنصاري على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [١١، ص ص٤٨٣ ـ ٤٨٥].

٣ ـ بذل الأسباب المادية حسب الإمكانات المتاحة، وذلك باستخدام الموارد البشرية والمادية المتوافرة، حيث كان عدد المسلمين أكثر بقليل من ثلاثمائة ومعهم فرسان وسبعين بعيرًا فقط [٨، ص١٨٦، ١٩٣].

٤ ـ ترسيخ الجانب العقائدي والإيماني في النفوس بالالتزام بتقوى الله ـ عزّ وجلّ ـ واللجوء إليه، والتوكل عليه، وهذا ما فعله الرسول ﷺ، قبيل نشوب المعركة حيث ظل قائمًا يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ بإنجاز وعده ونصره على الأعداء حتى أشفق عليه أبوبكر الصديق، رضي الله عنه، من حاله تلك. فكانت نتيجة تلك المعركة النصر الباهر للمسلمين على الرغم من قلة عددهم وعدتهم، وسقط قادة الكفر من صناديد قريش ـ الذين كانوا يضطهدون المسلمين صرعى في أرض المعركة كما تنبأ الرسول ﷺ، قبل المعركة، وكما وعد هؤلاء المسلمين المستضعفين عندما كانوا يعذبون أثناء الفترة المكية [٨، ص١٩٦، ص ص٢٠٠ـ٢٠٤].

الخلاصة والاستنتاجات

إن الإدارة الإسلامية إدارة تستمد مبادئها من هدي القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك تمييزًا لها عن غيرها من الإدارات الوضعية التي تستمد مبادئها وأسسها من تجارب العقول البشرية والتي يغلب عليها الطابع العلماني الذي يُقصي الجانب العقائدي والإيماني عن التأثير في الحياة. وفي هذا المقال تم استعراض أحد الجوانب الإدارية المهمة وهو التخطيط وفق بعض جوانب السنة النبوية القولية والفعلية وذلك للاسترشاد بها في الوقت الحاضر من قِبل المسلمين باعتبار أنها مصدرًا تشريعيًّا رئيسًا لهم.

لقد تم الاقتصار على استعراض بعض تلك الجوانب كأمثلة وأدلة توضيحية على شمولية التخطيط الإسلامي وأسبقيته في معرفة وتطبيق كثير من المبادىء الضرورية في هذا المجال بالإضافة إلى أنه يضيف بعدًا آخر لا يتوافر في التخطيط الوضعي ألا وهو اشتماله على الجانب العقائدي والإيماني وأهمية ذلك للإدارة الإسلامية في المجتمعات المسلمة على وجه الخصوص. ولقد تم إيراد حديثين للرسول ﷺ، على سبيل المثال للاستدلال بهما على التخطيط الإسلامي من السنة القولية، وهما: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين». وكذلك «المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما

ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» وقد تم استنباط عدة عناصر مهمة للتخطيط الإسلامي من هذين الحديثين، ومن ذلك:

١ ـ ضرورة التفكير والحيطة والحذر في الأمور المستقبلية.

٢ ـ بذل الأسباب وتوفير الإمكانات والوسائل المشروعة.

٣ ـ مشروعية الأهداف والغايات.

٤ ـ التوكل على الله والاستعانة به.

٥ ـ التسليم لقضاء الله وقدره عندما تكون النتائج عكسية. كما أن المقال تطرق إلى السيرة النبوية الفعلية حيث تم الاستشهاد ببعض الوقائع والأحداث التي تؤكد هذه العناصر من جانب وتضيف عناصر أخرى. ففي *الفترة المكية* تناول المقال تخطيط الرسول ﷺ، للدعوة الإسلامية حيث مر بمرحلتين سرية وجهرية، وكذلك التخطيط للهجرة سواء كان للحبشة أو للمدينة المنورة، حيث يمكن إضافة العناصر التالية:

١ ـ أهمية الوقت أو الزمن للتخطيط.

٢ ـ المرونة وذلك في كيفية استخدام الأسلوب المناسب.

٣ ـ المعرفة والإلمام بالبيئة المحيطة.

أما في *الفترة المدنية* فقد ظهر التخطيط الإسلامي الشامل للدولة الإسلامية وتناول التخطيط العمراني والسياسي والاجتماعي والعسكري وبيان أثر الجانب العقائدي الواضح على ذلك من خلال إيراد ثلاثة أمثلة توضيحية كبناء المساجد والدور وتدوين دستور المدينة ثم التخطيط العسكري من خلال غزوة بدر الكبرى، حيث أمكن إضافة العناصر التالية:

١ ـ أهمية الشورى الإيمانية.

٢ ـ أهمية الدقة في جمع البيانات والمعلومات.

وبهذا الاستعراض تتضح شمولية المنهج الإسلامي للتخطيط وأهمية الجانب الإيماني في صياغته وتشكيله وأهمية أخذ ذلك بعين الاعتبار لتمييز التخطيط في الإدارات والمجتمعات الإسلامية عن التخطيط بمفهومه المعاصر. . والله من وراء القصد.

المراجع

[١] المطيري، حزام ماطر. *مبادىء وأسس الإدارة العامة ومدى أهمية أسلمتها: دراسة استطلاعية تحليلية*. *الرياض:* مركز البحوث ، كلية العلوم الإدارية ، جامعة الملك سعود ١٤١٢/١٤١٣هـ «إصدار رقم ١٢/١».

[٢] البرعي، محمد وعدنان عابدين. *الإدارة في التراث الإسلامي، مع حكم وأمثال للمسئولين ورجال الأعمال*، الجزء الأول. جدة: مكتبة الخدمات الحديثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

[٣] الغرفة التجارية الصناعية بالرياض. *إدارة ضغوط العمل*. محاضرة يوم ١٨ ذو القعدة ١٤١٢هـ الموافق ٢٠/٥/١٩٩٢م.

[٤] البنا، فرناس عبدالباسط. *التخطيط دراسة في مجال الإدارة الإسلامية وعلم الإدارة العامة*، الطبعة الأولى. القاهرة: (د.ن)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[٥] السلطان، فهد صالح. *النموذج الإسلامي في الإدارة: منظور شمولي للإدارة العامة*. الرياض: مطابع الخالد للأوفسيت، ١٤١٢/١٩٩١م.

[٦] المعافري، أبي محمد عبدالملك ابن هشام. *السيرة النبوية*، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد، الجزء الأول. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥م.

[٧] الضحيان، عبدالرحمن. *الإدارة في الإسلام: الفكر والتطبيق*، ط١. جدة: دار الشروق، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

[٨] المعافري، أبي محمد عبدالملك ابن هشام. *السيرة النبوية*، تحقيق طه عبدالرءوف سعد، الجزء الثاني. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٥م.

[٩] العلي، محمد مهنا. *الإدارة في الإسلام*، ط١، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

[١٠] أبو سن، أحمد إبراهيم. *الإدارة في الإسلام*، ط٣. الخرطوم: الدار السودانية للكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

[١١] الحمصي، محمد حسن. *قرآن كريم وبيان*. دمشق: دار الرشيد، (د.ت).

The Islamic Planning Model from The Life of Prophet Muhammad: Theory and Practice

Hezam M. Al-Mutairi
Assistant Professor of Public Administration,
Department of Public Administration, College of Administrative Sciences,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received 10/5/1413 A.H; Accepted for publication 23/8/1413 A.H.)

Abstract. The Islamic Administration drives its approach basically from the revelation. It is described by its wholeness and it copes with the human nature regardless the time or place. Prophet Muhammad's life is the best Model for the Islamic administration. It is required in the Quran from all Muslims to follow him.

After the fall of communist system we find that the secular administration represented by United States tries to dominate indirectly all over the rest of systems and values including Islam by exporting its secular approach to the Muslim nation. The goals of this article are:

1. To demonstrate one aspect of the Islamic administration which is planning according to some sayings and deeds of Prophet Muhammad.

2. To benefit from its lessons at the whole levels in the Islamic state.

3. To give the ethical alternative for the secular western approach by showing the importance of faith and Islamic beliefs for contemporary Islamic administrative planning.